مُناقشَات

بين « الواقع » و « الامكان »

بقلم ملك عبد العزيز

انه لثقيل على نفسي ان اعود فاتحدث مرة اخرى عن قصيدتي «ذكرى جواد » ولكن ما حيلتي وانا ارى بعض من تصدوا لتدريس الادب في مدارسنا وجامعاتنا يعجزون عن تخيل حادث – وان كان غير شائع – الا انه لا يعجز الخيال فضلا عن الحقيقة والواقع .

ان احد النقاد يقول اين البطولة في القصيدة ؟ فاذا قلت له ان البطولة في ان الشهيد الجريح ابى ان يذهب للمستشفى وفضل ان يبقى وحده يحارب جيشا جرارا ، قال الدكتور احسان عباس في عدد تموز من الاداب : « هل يستطيع احد ان يصدق بان الشاعرة تعيش في واقع الحياة حين تقول في الدفاع عن قصيدتها « ان بطلها ظل وحده خلف ربوة صغيرة يحارب الجيش الجرار ؟ »

ولكني احب ان اسائل الدكتور الفاضل ، اي نوع من « الواقع » يقصده ، ويريد الشاعرة ان تعيش فيه ؟... اهو الواقع الساكن البارد ، المنعزل في قوقعة من المنطق العقلي الشكلي الذي يقول ان فردا واحدا لا يستطيع أن يهزم جيشا جرارا فلذلك ينبغي الا يحاربه او يقاومه بل يجب ان يهرب او يسلم ؟ ام هو الواقع الحي الذي نعيش فيه حياتنا العربية الثورية الراهنة ، والذي يجعلنا نؤمن بانتصار قوى الحق والسلام على قوى البغي والعدوان مهما تسلحت بالقوة المادية وبأسلحة التخريب والدمار ؟

ان البطل جواد حسني وقصيدة « ذكرى جواد » انما يعبران عن ذلك الواقع الحي الذي نعيشه وتعيشه الامة العربية في كل مكان . وان موقف جواد ليس الا مثلا فرديا لكل ما يقوم به العرب من كفاح ضد الاستعمار والاستغلال .

لقد اممنا قناة السويس ، وكنا نعلم ان الدول المنتفعة باسهم شركتها اقوى منا في كل شيء ، وانها تستطيع ان تسحقنا بقواها المادية ، ولكنا اقدمنا على تأميمها لاننا نؤمن بحقنا ، وبأن الحق لا بد ان ينتصر في النهاية . ثم رفضنا الانذار البريطاني الفرنسي الذي هدد باحتلال القناة اذا لم يوقف القتال ضد اسرائيل المعتدية ، مع اننا كنا نعلم حق العلم ان قواتنا ليست الا شيئا صغيرا ضئيلا الى جوار قوات هاتين الدولتين المعتديتين . وقاومت بور سعيد الباسلة ولم تسلم – كما قاوم جواد ولم يسلم – لكي تجعل المعتدين يدفعون ثمن عدوانهم ، ولكي تعرقل فوزهم ، حتى يتنبه الضمير العالمي وينصر الحق .

والثوار الابطال في الجزائر يعلمون ان قوات فرنسا ومن خلفها قوات حلف الاطلنطي أعتى من كل ذخائرهم وقواتهم بمئات المرات ولكنهم يقاومون ويحاربون ولا يستسلمون « للواقع » المنطقي الساكن البارد . والثوار في عمان وفي جنوب الجزيرة العربية بل وفي قلب افريقيا يقاومون دولا وقوات تفوقهم قوة وعدة وعددا ولا ييأسون من النصر .

ذلك يا سيدي هو الواقع الذي اعيش فيه ، وهو واقع حي يملأ نفسي باصدائه ، وليس خرافة مستمدة من نسج الخيال او من الافلام الامريكية كما يقول النقاد الافاضل .

واذا كانت قد وجدت حكومة خائنة مثل حكومة شمعون سمحت للقوات الاميركية ان تحتل ارض بلادها دون ان تقاوم او تحتج او تثور متمسكة « بالعقل والمنطق والواقع » الذي يجعلها ترى نفسها اضعف من ان تقاوم دولة هائلة كأميركا ، فان هذه الحكومة لحسن الحظ ليست مثالا للحكومات العربية ، ولا للروح العربية الثائرة المتوثبة ، ولا للواقع العربي الراهن .

ولاعد الان للافلام الاميركية التي قورنت بها قصيدتي ظلما ، فأقول ان البطل في افلام رعاة البقر يحارب حشدا كبيرا من الناس كما فعل جواد ولكن الفارق ان الفيلم الاميركي يجعله ينتصر عليهم جميعا ، وهنا تكون الاحالة والمبالغة ، فهل جعلت انا بطل قصيدتي ينتصر ؟.. لقد جرحه المعتدون واسروه وعذبوه ثم قتلوه فأين المبالغة اذن ؟ أمجرد انه بقي وحده ليحارب جيشا جرارا ؟... لقد كان يعلم انه سيموت ، وسيموت سواه من المواطنين الابرياء فلذلك اثر الا يموت قبل ان يقتص من قاتليه وقبل ان يدفعوا الثمن ، كما جاء في القصيدة :

« لا لن نموت جيفة بلا ثمن
الحشد الاف ولكني سأعلم الزمن
وأعلم الطغاة والبغاة والمحن
ان الحياة اغلى ماتظله الحياة
وان من يعدو عليها يدفع الثمن »

واذا كان هذا الموقف الذي وقفه البطل غير شائع الا انه غير شاذ بل يتكرر كثيرا في حروب الدفاع عن الاوطان ، وليس ببعيد عنا قصة البطل السوري جول جمال وزميله المصري اللذين تطوعا في معركة بور سعيد لنسف الطراد الفرنسي بالطوربيد وهما يعلمان تمام العلم ان في هذا العمل هلاكهما . أكان ينبغي ان يقولا ان الطراد وجنوده ومدافعه اقوى منا ومن طوربيدنا فلذلك ينبغي الا نقدم ؟

ان الدكتور احسان يقول « ان الواقعية الفنية هي تصوير الامكان » وانا اوافقه على ذلك ، ولكن ماهي حدود هذا « الامكان » ؟.. وعلى اي نحو نتصوره ؟.. ان « الامكان » – كأي شيء اخر – مسألة نسبية تخضع للفلسفة التي يعتنقها الناقد او الاديب وللمثل التي يؤمن بها . فما أراه ممكنا قد يراه سواى غير ممكن . واذا اعتبرنا كل عمل غير شائع بعيدا عن الامكان لوجب الا نتحدث في الادب عن اي عمل بطولي ، ذلك ان البطولة بطبيعتها عمل فريد خارج عن المألوف والا لما سميت بطولة . كما ان اعتبار كل امر فريد او شاذ امرا خارجا عن « الامكان » وبالتالي لايصلح موضوعا للادب – احسب ان هذا الرأي لايحظى بتأييد جميع الادباء والنقاد . فهناك من قصروا ادبهم – او كادوا – على النماذج الشاذة في المجتمع مثل اميل زولا ، ولكن ادبهم يبدو مقنعا مقبولا مادامو لايخرجون على منطق العلم او منطق الحياة .

ولا احسبني في قصيدتي قد خرجت على منطق الحياة . فالبطل شاب في العشرين من عمره ، اي في السن التي تضج فيها النفس بالحماس ، وتتعلق بالمثل العليا ، وبصور البطولة الخارقة ، وتتوق الى الكفاح والصراع . ثم انه يحارب في سبيل قضية عادلة ، في سبيل الدفاع عن وطنه ضد المعتدين . ولو كان مافعله جواد قد صدر عن جندي في جيش يحارب للغزو والاستعمار او عن رجل في سن الاربعين

مثلا لجاز ان نصف مافعله بالبعد عن الواقع والخروج عن الامكان .

وليس جواد حسني هو اول او اخر بطل في التاريخ وقف وحده يدافع عن القضية التي يؤمن بها . وليس المجال هنا مجال تعداد المواقف التي كافح فيها ابطال قوات تفوقهم عددا وعدة فذلك امر فوق متناول الحصر ولو نبشت في صفحات التاريخ قديمها وحديثها ، ولكني فقط أرجو اساتذتنا النقاد ان يكونوا اكثر ايمانا بقدرات الشباب ومثلهم العليا ، وأكثر تجاوبا مع المد الثوري الذي يسيطر على حياتنا العربية الراهنة وواقعها الحي . ولهم على كل حال تحيتي وشكري .

القاهرة — مالك عبد العزيز

تمـوز ... عـلوش !

نرجو ان يكون الشعراء اكثر فهما لقضية التمثل التي تحتاج بالدرجة الاولى الى المعاناة ـ في ـ الزمان .. مخافة ان يصل التمثل في سويعاته الاولى الى مجرد النقل ، وكما تقول دارجيتنا « اللطش » !!

ان « تموز الذي مر بالامس » ليس في الحقيقة الا « تمثلا » « ؟!!! » ممتازا للقصيدة العظيمة التي قدمها لنا الشاعر العراقي بدر شاكر السياب بعنوان « مدينة بلا مطر » ، وذلك في العدد الثامن « اب » من السنة ١٩٥٨ ، للاداب ..

ان خوف الافتضاح ، يكشف في غالب الاحيان ، احسن مما يكشف الاعتراف باللطش ـ أسف .. بالتمثل ..! ـ وعليه ، فقليلا من الصدق والذاتية .. وقليلا من الكياسة والاحترام ...

محي الدين محمد

حول « نقد قصائد العدد الماضي »

بقلم : كمال ابو ديب

... انا افهم من النقد انه في حد ذاته عملية بناء تقوم على اساس تشريحي « للجثة » القصيدة الموضوعة تحت مبضع الناقد .. وافهم ان يشير الناقد الى الامراض التي دخلت في جسد القصيدة ويقول عنها : انها امراض تؤدي الى اضعاف جسد القصيدة وبالتالي ـ اذا كثرت ـ الى قتلهـــا ... .

وافهم ان يقول عن الاجزاء السليمة والتي لم تدخلها عوارض لمرض .. بل ظلت محافظة على تدفقها وتماسكها العضوي .. وقوتها وتوازنها ... وبنائها الداخلي والخارجي .. وبالتالي ظلت شيئا نقيا لم تؤثر عليه الجراثيم المرضية . وافهم ان يصل الناقد ـ من خلال هذه العملية ـ الى تحديد « تخطيط » او « منهاج » الشاعر .. يستطيع ان يدله على الاسباب التي قادت المرض الى قصيدته .. فيتقيها في قصيدة ثانية ـ ويتلافى عوارضها في المولود الجديد له ... ويدله ايضا على الاجزاء السليمة من قصيدته ويبين له الاسباب التي منعت الجراثيم من الدخول اليها ... وابعدتها عن الضعف ... فيستفيد منها في عملية خلق بناءة جديدة ...

ولكنني لا استطيع ان اتصور ان يضع هذا الشخص الذي سميناه ـ ناقدا ـ ، الجثة امامنا ويسلط الاضواء عليها .. لنراها ... فقط .. فتظل هي .. هي. كما وقعت عليها عيوننا لاول وهلة.. دون ان يعمل مبضعه فيها بروح المشرح الذي يهدف الى اظهار الحقيقة فقط .. بل يكتفي بان يجلس على كرسيه وهو يتحدث عن اشياء ـ تذكرها ، لسوء حظنا ، وهو يقوم بعمله ـ فالهته عن العمل وجعلته يبتعد عن وظيفته الرئيسية بل الوحيدة . واذا صح هذا القول .. فلنر الى اي مدى ينطبق هذا « التخطيط » على نقد قصائد العدد الماضي ..

يبدأ الدكتور المحاسني نقد القصائد بقصيدة نزار قباني اولى قصائد العدد المنقود .. فيعرفنا ببحر القصيدة .. و « نوعيتها » من حيث الشعر الحديث والشعر القديم ... واوزانها .. فيقول :

« اوريانيتا ... قصيدة منثورة للشاعر نزار قباني .. وحين اقول منثورة فانما اريد نثرها شكلا ... لا موضوعا على مصطلح تعابير الفن.. وهي في نثرها جاءت شعرا على وحدة موزونة قوامها « مستفعلن فاعلن» اما الموضوع .. » ويعرفنا بالموضوع ... ولست ادري ماذا يقصد الدكتور بقوله « نثرها شكلا لا موضوعا ... ثم كيف تكون منثورة وتجيء شعرا على وحدة موزونة ..؟.

وبعدها .؟« يشرح » لنا الدكتور المحاسني المقطع الثاني منها ... فيقول :« يضفي الشاعر من تلاوين حسه ونشوة تأمله على فتاته بهجة.. وروعة ... فاذا هي من أفاويه الشرق وفاكهته وجواهره .. وفي المقطع الثالث يعود الى الصور المحسوسة .. « وكم يجملها البعد عن الاغراق » وفي المقطع الرابع يلح الشاعر على الصور المحسوسة .. « في وحدة فنية تبرز فتنة المرأة التي تزين صدرها » ..

ثم ينتقل بعدها الى الحديث عن الشعر بوجه عام عند نزار ... وعن ذكرياته معه في مصر . وعن رأيه يومها بالشعر الحديث ورأيه اليوم ..

وانا بعد هذا ..لااستطيع ان اسمي « تعليق » الدكتور المحاسني على القصيدة نقدا .. وانما قد يكون ـ شرحا ـ لا اكثر .. « واعتقد » .. ان هناك فرقا كبيرا بين الشرح والنقد ... والا فما رأي الناقد الكريم؟!. واستطيع ان افهم ان الشرح قد يكون ضروريا في مقدمة النقد .. التعريف بالقصيدة من اجل من لم يقرأ العدد الماضي او القصيدة المنقودة .. ثم يأتي النقد .. ولكنني لااستطيع ان افهم ان يكون الشرح بحد ذاته .. هو .. هو ... « النقد » الذي يكتبه بعض النقاد . ويسمونه تشريحا ونقدا . وهو في الاصل شرح .. لاتشريح .. واعتقد ان معظم نقاد هذا الباب يشرحون القصائد ولا ينقدونها ، استثني منهم بعضهم ـ كالدكتور احسان عباس مثلا ـ فليسم الدكتور ادريس ... « خواطر حول العدد الماضي » ،« لانقد القصائد في العدد الماضي » ...

ترى الم يلفت نظر الدكتور المحاسني في قصيدة نزار شيء غير انها « وحدة فنية ... وغير ان البعد عن الاغراق يجملها ؟ » ولكن مع ذلك الاغراق في اي شيء .. في الصور ام غيرها ؟ ...

الم يلفت نظره اشياء كثيرة .. كثيرة .. اولها .. كلمة « صديقه » بالذات .. كلمة صديقة .. تصدر عن نزار نفسه . نزار الذي عرفناه لا يعرف المرأة الا « وسيلة » لاشباع جسده النهم .. بجميع طبقاتها واشكالها ـ فتاة عذراء ـ . سيدة مجتمع .. خادمة .. بائعة من بائعات اللذة ـ نزار الذي قال عن المرأة على لسان بطلة قصيدته حكاية « كلنا في مجامر النار نسوة » .... نزار بالذات ... يميز امرأة من بين الجميع ليسميها صديقة .. ترى الا يثير هذا الف قول عن اشياء طرأت على

نزار .. وعن تغيير في مفاهيمه ونظرته للمرأة ... وعن احتمالات توثبه؟.

وبعدها ... اذا قفزنا الى اخر القصيدة : « اوريانيتا ... احـر ماعرفت من توابل الجنوب » ..

ترى الا يدل هذا على ان نزار .. عرف « اوريانيتا » ولكـن بصفة غير صديقة .. والا فهل يمكن ان يعرف انها « احر ماعرف من توابـل الجنوب » وهي صديقة فحسب ... دون ان تنتقل الى كونها . « عشيقة» مثلا ... ثم ان « احر ماعرفت » بالذات . الا تشير بوضوح الى ان نزار هو .. هو .. لم يتغير .. وانه لا يغير « صديقة » . وانمـا يعنـي « بصديقه » معنى اخر جديدا للصداقة بين الرجل والمرأة . ويدل على انه من غير الممكن لنزار ان يكون « صديقا » لامرأة ... ويدل علـى انه« عرف كثيرا » من توابل الجنوب .. ويحطم « حسن الظن » ـ الذي نشا من جراء كلمة صديقة ـ بان نزار قد تغير .. وتاب .. الى درجة انه .. يعتبر واحدة .. « صديقة » له .. فقط .. ثم الا يلفت التصوير نظر الدكتور المحاسني الى ان القصيدة كلها ... لوحة ماهرة بريشة فنان ماهر .. لامرأة فاتنة .. لوحة دقيقة التصوير واضحة التقاسيم « ـالانف من ... العينان من .. الشفتان زهرتا أ ضاليا » ـ « نهدان واقفان .. كقبتي نحاس .. في ذهب المغيب » ..

ثم كيف يكون النهدان : « صحنان صينيان رائعـان » و « قلعـان من لهيب ـ . وبنفس الوقت : كقبتي نحاس ـ الى يلفت نظره ان الصورة غير دقيقة بل متناقضة الخطوط والالوان ايضا « او كيف يكون النهدان « صحنين » ـ « مستويين » .. و « قلعين » . بشكل المكعب » .. وقبتي نحـاس ـ مـدور .. » ..

ثم الا يلفت نظره الصور والكلمات الدافئة .

« تكونت من رغوة البحار .. من نكهة المانجو .. من الاصداف والمحار. من كل ما في الهند من طيب ومن بهار » . و « شاحبة جملت الشحوب.. دافئة كالبن في مزارع الجنوب » ..

كل هذه الصور المشوقة الرائعة الخطوط والالوان لا يشير الدكتـور الى شيء منها ابدا .. !!

وبعد هذا .. لا يتبين لنا بوضوح انراي نزار لم يتغير في الجمال . وهو انه لا يمكن للجمال ان يكون طاهرا ... « تائبة .. من قال ؟. جـل الحسن ان يتوب ! » اليس هذا الراي بحاجة الى مناقشات كثيرة مـن قبل الدكتور ومن قبل غيره .. ثم ان « تائبة » بالذات تزعزع الاعتقاد بان نزار يعني « صديقته » بمعناها .. والا فعم تتوب اذا لم يكون عـن خطيئة الشهوة والجسد ؟..

والان كنت اود ان اتابع تعليقي على باب النقد في العدد الماضي «الثامن» ولكنني اكتفي بهذه القصيدة كمثال عن بقية القصائد المنشـورة ـ لان الخطوط العريضة نفسها والمنهاج نفسه .. ويمكن للقارىء الكريم ان يعود الى نقد الدكتور المحاسني في العدد الثامن ليلمس هذه الحقيقة بنفسه .. وهي ان منهاج الدكتور في النقد يقوم على الاسس التالية :

الحديث عن اوزان القصيدة ..وعن قوافيها.. وتحررها .. ونوعيتهاـ مكانتها بين الشعر الحديث والقديم .. وهذا الحديث كله ليس حديـث الناقد وانما حديث المعرف .. المشير فقط .. والا لكان اشار الـى الخطا العروضي في قصيدة سلمى الخضراء « كان حلم وهروب يائـس وتلاوين كذوب . » « اتت فاعلن بدل فاعلاتن في وسط البيت .. انقطاع في النغم يحسه القاريء و « نحن قد ولدتنا امنا .. » خطا كذلك ... ولكنه لايتحدث عن التجربة التي يعيشها الشاعر .. .تجربة الضياع في قصيدة سلمى الخضراء .. .والتجارب الاخرى في القصائد الباقية .. ويترك اشياء كثيرة كان الاجدر به ان يتحدث عنها :

« مدى اجادة الشاعر .. الانفعال العاطفي ... التوزيع المتناسق موسيقيا ولفظا .. التماسك العضوي في القصيدة .. الخ ..»

ولست ادري لماذا يشغل الدكتور المحاسني المكان المخصص للنقـد بذكرياته مع الشعراء ... وآرائه البعيدة كل البعد عـن مـوضوع القصائد .. « ذكريات مع نزار قباني .. وكمال نشات » ..

ويكتفي ان يشير الى اوزان القصيدة .. وقوافيها . مثلا :

قصيدة نزار قال عنها ما اسلفنا ـ قصيدة سلمى الخضراء قال عنها : « مقاطع متعددة من الشعر الموزون .... المطلق في قوافيه ... سارت فيه مسير الشعر الغربي في تنويع القافية وترادفها .. وهو بين المطلـق والمقيد » ـ قصيدة كمال نشات قال عنها : « وجدت قصيدته المنثورة شعرا من وزن متهدج هو المتدارك وفي قواف مطلقة ثم متواترة » ..

نحن نقبل ان يذكر الناقد بحر القصيدة .. ووزنها . وقافيتهـا .. ذكرا .. ولكننا لانقبل بان يكتفي بهذا او يسميه نقدا فالعروض ليـس كل شيء .. .بل انه لاينقد حتى العروض الذي نعيه شيئا رئيسيا في منهاجه . .وانما يذكره ذكرا فقط .. ثم لايخفى ان اي قارىء مهتم بالشعر يعرف وزن القصيدة وبحرها ويلمس قافيتها .. بل وعلاوة على ذلك يعرف اين هي مواقع الخطأ العروضي .. .« زيادة على مايذكـره الناقد » ... .فهو ليس بحاجة الى التعريف بهذه الاشياء . مثلما هـو بحاجة الى دراسة التواتر النفسي العاطفي .. والانفعال المشمول بعنف التجربة ... وواقعيتها ـ وحياتها ـ وهذا ماأتمنى ان اراه منهاجا مقررا عند نقادنا الكرام . »

صافيتا — كمال ابو ديب

صـدر هذا الشهر عن

دار العلم للملايين

حرية الفكر وابطالها في التاريخ للمرحوم سلامه موسى

مشاعل الطريـق للشباب « « «

ما هي القومية ؟ للاستاذ ساطع الحصري

الغنغرينا او تعذيب الجزائريين في باريس

مذكرات فتاة رصينة للاديبة الفرنسية سيمون دي بوفوار